

الفصل: الرابع

وحدة: النظريات الاقتصادية

الأستاذ: حميد بنسي

المحاضرة رقم: 7

السنة الجامعية

2021-2020

جامعة ابن طفيل	السنة الجامعية: 2020-2021
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	وحدة: النظريات الاقتصادية
شعبة التاريخ والحضارة	الأستاذ: حميد بنسي
الفصل الرابع	المحاضرة رقم: 7

المدرسة الكلاسيكية

ارتبط ظهور ما يعرف باسم المدرسة الكلاسيكية في تاريخ الفكر الاقتصادي ارتباطا تاما بالتطورات التي حدثت في الحياة الأوروبية منذ نشأة الرأسمالية التجارية، و تجسدت بعض عوامل ظهور هذه المدرسة في: الثورة العلمية والثورة الصناعية.

◀ **الثورة العلمية:** ساهمت الثورة العلمية في التخلص من التبعية لأفكار الكنيسة، و ساعدت في ظهور تيارات جديدة في شتى العلوم، وظهور تيارات فكرية تدرس الظواهر الطبيعية بتحليل منطقي و بقوانين الطبيعة. انعكس هذا كذلك على تحليل الظواهر الاقتصادية التي تأثرت بفكرة القانون الطبيعي، فظهر الفكر الفيزيوقراطي. وكان ممهدا لظهور تيار فكري أشمل وأعمق من ناحية التحليل العلمي للظواهر الاقتصادية، ألا هو التيار الفكري الكلاسيكي على يد **آدم سميث** مؤسس علم الاقتصاد .

◀ **الثورة الصناعية :** لقد رأينا كيف تطور الاقتصاد الأوربي من اقتصاد إقطاعي إلى الرأسمالية التجارية، لكن الرأسمالية لم تجمد عند هذه الحالة، بل تطورت حتى وصلت في القرن 18 إلى الرأسمالية الصناعية. وأهم حدث ارتبط بهذا التطور هو "**الثورة الصناعية**" التي ظهرت بشكل تدريجي منذ منتصف القرن 18 كنتيجة حتمية للثورة العلمية و النهضة الفكرية الأوروبية، فتغيرت بذلك العديد من المفاهيم الاقتصادية، خاصة ما يتعلق بالإنتاج و خلق الثروة. و أصبحت **الصناعة** تحتل الصدارة في الحياة الاقتصادية للدول و الأفراد و أصحاب رؤوس الأموال. و مع نمو الصناعة أخذت أفكار وممارسات التجاريين تتلاشى تدريجيا، لتحل محلها أفكار جديدة، تهتم أساسا ب:

الإنتاج و خلق الثروة و التوزيع

و في هذا الإطار ازدادت قوة كبار الصناع و أصحاب رؤوس الأموال الصناعية. و لم يعد هؤلاء بحاجة لحماية الدولة أو للإعانات الجمركية، فساد منطق الحركة الاقتصادية، ومبدأ المنافسة الكاملة و الحرية الاقتصادية، فهذه العوامل مجتمعة تعتبر من بين الأسس التي قام عليها تيار الفكر الاقتصادي التقليدي في ذلك الوقت .

بصيغة أخرى: لقد تأسس التيار الاقتصادي التقليدي على إثر ظهور منطق اقتصادي جديد، مساهما في وضع اللبنة الرئيسية لعلم الاقتصاد، وذلك من خلال بلورة النظريات الاقتصادية بشكل علمي يعتمد على مبادئ هي:

* الحرية الاقتصادية؛

* حرية المنافسة؛

* المنفعة الفردية؛

* عدم تدخل الدولة في الاقتصاد.

فمن هم إذن رواد هذه المدرسة؟

□ أهم رواد تيار الفكر الاقتصادي التقليدي:

❖ **آدم سميت 1723 - 1790 (Adam Smith):** يعتبر آدم سميت مؤسس علم الاقتصاد الحديث، من مؤلفاته الكتاب الشهير " البحث حول طبيعة وأسباب ثروة الأمم " الذي يمثل المؤلف الأساسي الذي بنيت عليه النظرية الكلاسيكية وكذلك علم الاقتصاد، وعلى أسسه بنيت الليبرالية الاقتصادية الحديثة .

❖ **جون باتيست ساي 1767- 1832 (Jean-Baptiste Say):** هو أحد رواد الفكر الكلاسيكي الفرنسيين، له العديد من الإسهامات في الفكر الاقتصادي التي برزت على شكل نظريات: حول الحرية الاقتصادية وحرية السوق. و بنى على أساسها نظريته الشهيرة المتعلقة بالعرض والطلب المعروفة بقانون ساي .

❖ **دافيد ريكاردو 1772- 1823 (David Ricardo):** له مؤلف شهير جدا حول: "مبادئ الاقتصاد السياسي والضرائب" صدر له سنة 1817م. يكمل هذا المؤلف أفكار آدم سميت بتحليل أكثر عمقا خاصة في مجال التوزيع، والنمو الاقتصادي وكذلك الانعكاسات النقدية على الاقتصاد. ومن بين القوانين التي جاء بها دافيد ريكاردو هو: قانون الغلة المتناقضة الذي سنتطرق له فيما بعد.

❖ **توماس روبرت مالتيس 1766 - 1834 (Thomas Robert Malthus):** عرف كثيرا بنظريته حول السكان، و ما ميز مالتيس هو أنه وضع نظرية متكاملة في السكان وأدجها في علم الاقتصاد عندما أشار إلى وجود عامل يجب دراسته إلى جانب: الإنتاج و التوزيع و التبادل وهو عدد السكان. و ذلك للعلاقة

الوطيدة التي تربط بين تطور عدد السكان و تطور كمية الإنتاج. كيف ذلك؟ ينص هذا القانون الذي صاغه مالتيس في كتابه "محاولة في مبدأ السكان" على أن تزايد السكان يتم وفق متتالية هندسية، أما إنتاج الغذاء فيتزايد حسب متتالية عددية. الأمر الذي ينتج عنه عدة اختلالات اجتماعية واقتصادية وسياسية، و يتم تصحيح هذه الاختلالات عن طريق مفعول:

◀ الموانع الإيجابية: الأوبئة الحروب والمجاعات

◀ الموانع السلبية: تأخير سن الزواج

◀ الموانع الوقائية: ارتفاع مستوى الثقافي و تحسين ظروف

العيش.

□ التحليل الاقتصادي لدى الكلاسيكيين :

لقد لخص مفهوم الثروة الصناعية جملة من التطورات التي عرفها المجال الأوربي سواء من حيث التحولات التي طرأت على:

* **الجهاز الإنتاجي الصناعي:**

(باحتلاله المركز الرئيسي في النشاط الاقتصادي)

أو من حيث

* **التغيرات التي عرفتها البنية الاجتماعية:**

(بعدما أصبح رجال الصناعة عصب الحياة الاقتصادية، وبعدما تغير الهرم الاجتماعي)

وذلك من خلال مسألتين اثنتين:

الأولى: تركز الأموال والسلطة في قطب و الثانية: تركز الفقر والحرمان والبطالة في القطب المواجه له.

وفي ظل هذه التناقضات، اشتمل التحليل الاقتصادي لتيار الفكر التقليدي على مجموعة من النظريات، تركز أساسا على :

الإنتاج - القيمة - التوزيع - التشغيل - الأجور...

❖ الإنتاج ومحدداته

ركزت المدرسة الكلاسيكية بكل مفكرها على الإنتاج كنشاط مهم في الاقتصاد. فقد عزفوا الإنتاج على أنه خلق منفعة أو الزيادة فيها، و بهذا اختلف مفهوم الثروة لديهم عن مفهومها لدى التجاريين (ما تملكه الدولة من معادن نفيسة) و لدى الطبيعيين (الأرض والنتاج الزراعي)، فالثروة عند الكلاسيكيين، تكمن أساسا في إنتاج السلع. كما قسم الكلاسيكيون عناصر الإنتاج إلى العوامل التالية:

الأرض + العمل + رأس المال

لقد أهملوا التنظيم في البداية، لكنهم ركزوا عليه فيما بعد، واعتبر آدم سميت العمل وتنظيمه أهم عناصر الإنتاج، لهذا فقد نادى بتقسيم العمل كأحد أهم محددات الإنتاج و زيادة الإنتاجية. وقد قال آدم سميت بأن تقسيم العمل يؤدي إلى الزيادة في الإنتاج، و بالتالي تزيد إنتاجية العامل كأحد عناصر الإنتاج، وهو ما يؤدي إلى زيادة الإنتاج في نهاية المطاف. (يمكن إعطاء أمثلة: صناعة طاولة - مسمار...)

وبالتالي، فإن الإنتاج هو أساس النشاط الاقتصادي لدى التقليديين، وهو أساس التنمية الاقتصادية و زيادة ثروة الأمم. لهذا كان تركيزهم على زيادة الإنتاج و كيفية تفاعل عناصر الإنتاج مع بعضها البعض للرفع من الإنتاج.

يمكن ذكر نموذج التفاعل بين عناصر الإنتاج الذي تم وضعه من طرف ريكاردو في قانون تناقص الغلة أو قانون الغلة المتناقضة. يوضح هذا القانون كيفية تطور الإنتاج الفلاحي على سبيل المثال لا للحصر بافتراض ثبات جميع عناصر الإنتاج ما عدا عنصر واحد، ففي هذه الظروف يتطور الإنتاج على ثلاث مراحل و هي :

◀ المرحلة الأولى : يتزايد الإنتاج الكلي بكيفية متسارعة فتكون المردودية بذلك تفوق التناسب.(مرحلة تزايد الغلة)

◀ المرحلة الثانية : تكون المردودية أقل من التناسب. (مرحلة تناقص الغلة)

◀ المرحلة الثالثة : يبدأ الناتج الكلي في الانخفاض . (المرحلة الغلة السالبة) .

اقتصر التحليل الكلاسيكي في فهم قانون تناقص الغلة على قطاع الزراعة فقط، لكن يظهر أن هذا القانون يبقى عاما في ظل ظروف معينة نسبية و ليست مطلقة في نظر الكلاسيك .

❖ القيمة:

ترتكز نظرية القيمة عند الكلاسيكيين على التفريق بين القيمة الاستعمالية و القيمة التبادلية ، كانت القيمة في المجتمعات البدائية تحدد بمعدل المبدول، لكن عندما تقدم المجتمعات و تظهر الملكية الفردية و التراكم الرأسمالي فإن القيمة أصبحت محددة بالعمل المطلوب.

عموما، حسب اعتقاد آدم سميث فإن قيمة الاستعمال تتحدد بالمنفعة . أما القيمة التبادلية فتتعلق أساسا بكمية العمل المبدول الذي كان محددًا ومطلوب فيما قبل لإنتاج لسعة (X) ما.

و بالتالي فحسب سميث فإن العمل يعتبر محددًا للقيمة و مقياس لها، لماذا ؟

لأن العمل حسبه هو المصدر الأساسي لزيادة الثروة عن طريق زيادة الإنتاجية، و بالتالي إجمالي الإنتاج ويتم هذا عن طريق تقسيم العمل.

والعمل الذي يقصده آدم سميث هنا هو: **العمل المباشر + رأس المال و المواد الأولية** اللذين يمثلان أيضا عملا مخزنا في ذاتهما.

لهذا ركز آدم سميث كثيرا على نظريته المتمثلة في: القيمة الحقيقية للسلع **تساوي العمل**

أما القيمة عند **ريكاردو** فقد أضاف بعدا آخرًا وهو الندرة بطرحه الإشكال التالي :

[لماذا قيمة استعمال الماء أكثر من استعمال الألبان] بينما في القيمة التبادلية يكون العكس.

إذا الندرة هي أحد محددات القيمة، و بالتالي فالتباين بين القيمة الاستعمالية و القيمة التبادلية مرادها إلى الندرة أساسا.

و من تم قسم ريكاردو السلعة من حيث القيمة إلى نوعين :

◀ **المنتجات العادية**: يمكن زيادة عرضها ويمكن كذلك التحكم في الزيادة فيها و بالتالي يصبح الطلب محددًا لها .

◀ **المنتجات النادرة**: يصعب أو لا يمكن الزيادة في عرضها، لهذا تزيد قيمتها .

نلاحظ هنا أنه تم إضافة عنصرا آخر في هذا التقسيم، وهو الطلب الذي أصبح عنصرا محددًا في المعادلة، و من هنا يصبح التباين بين القيمة الاستعمالية و القيمة التبادلية له محددًا آخر، و هو حجم الطلب .

❖ السعر " الثمن " عند الكلاسيك :

ميز الكلاسيكيون بين **السعر الطبيعي** و **سعر السوق** ، و يتحدد السعر الطبيعي بمجموع (معدلات الأجر+الأرض/ريع + الأرباح + تكاليف الإنتاج الأخرى) . إذا أصبح **سعر السوق** أقل من **السعر الطبيعي** فقد يتوقف المنتج عن النشاط .

و بالتالي فإن سعر السوق: يكون إما مساوي (=) أو أكبر من السعر الطبيعي، فهو تحكمه محددات العرض والطلب (أي قانون ساي) وبالتالي مبدأ المنافسة التامة .

حسب ريكاردو : **السعر الطبيعي** يختلف عن **سعر السوق**، لكن على المدى الطويل سيتجه **سعر السوق** إلى **السعر الطبيعي** بفضل المنافسة و قوانين و العرض والطلب .

❖ البطالة :

تناول الكلاسيكيون كذلك مسألة البطالة و اعتبروها ظاهرة مؤقتة، كيف ذلك؟

فالإجابة تظهر من خلال إيجاد حل ناجع لظاهرة البطالة، فحل مشكل البطالة يتم على النحو التالي:

- زيادة المنافسة بين المستثمرين - فتزيد حركية عناصر الإنتاج (الأرض+ العمل+ رأسمال+ التنظيم) ومن بينها **العمل** النتيجة: تنافس العمال من أجل الحصول على عمل ولو بأجر منخفض - مما يزيد مستوى الشغل نتيجة التوظيف من طرف الرأسماليين ونتيجة التوسع في الاستثمارات. النتيجة النهائية: يصل المجتمع إلى حالة توظيف كاملة.

نظرية التوزيع ومحدداته عند الكلاسيكيين :

اعتمد الكلاسيكيون، و على رأسهم آدم سميث، على فكرة المنهاج "الطبقي" في توزيع عوائد الإنتاج، والتي مردها إلى تقسيم المجتمع إلى ثلاثة أقسام :

◀ **العمال المأجورون** : أي العمال الذين تدفع لهم الأجر

◀ **الملاك العقاريون (ملاك الأرض)** : يدفع لهم ريع الأرض .

◀ **المقاولون الرأسماليون** : يستفيدون من الربح الناتج عن الصناعة .

الملاك العقاريون:

هم طبقة تحتكر ملكية الأرض والمواد الأولية، ومقابل الربح العقاري يتخلون للمقاولين الرأسماليين عن حق استعمال الأرض والمواد الأولية. وضعيتهم مرتبطة بعوامل كثيرة، نذكر منها: ندرة الأرض والموارد ثم تزايد السكان (تحفيز على زيادة الانتاج) .

وبالتالي فإن الربح العقاري يتزايد مع ندرة الموارد وتكاثر السكان

المقاولون الرأسماليون

يوظف المقاولون الرأسماليون رساميل في عمليات الإنتاج بحيث يؤدون - أجور العمال مقابل جهدهم و ربح الأرض للملاك العقاريين مقابل العمل والموارد الطبيعية. أما حصيلة النتاج فهم يبيعونها مقابل ربح معين وهذا الربح هو الفرق بين قيمة الإنتاج وتكاليفه. ولإنماء رساميلهم يتطلب الأمر الزيادة في حجم الإنتاج وتوسيع دائرة التبادل وذلك بتوسيع المنافذ وتقسيم أكثر للعمل.

العمال المأجورون

خلافًا للمقاولين الرأسماليين لا يشكل المأجورون طبقة رائدة في النموذج التقليدي، وطبقة العمال مغلوبة على أمرها لأنها في وضعية احتياج وأجورها لا تلي سوى الحد الأدنى من حاجياتها الأساسية الحيوية.

خلاصة:

لم يكتف الكلاسيكيون بما سبق ذكره، فقد تمكنوا من بلورة قوانين أخرى في التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي و السياسية الاقتصادية و القضايا النقديةإلخ.

حظ موفق للجميع